الفصل الثالث

الإنسان في مدرسة الإسلام

كما يدخل الطفل المدرسة ليتخرج رجل المستقبل، كذلك جعل الإسلام للإنسان مدرسة يخرج منها إنسانًا صالحًا قادرًا على تحمل ما كلف به من أمانة ناءت بحملها السماوات، والأرض، والجبال. ومنهاج هذه المدرسة كتاب أنزله الله تبيانًا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين، وسنة عن النبي مُحَمَّد ﷺ الذي قيل من لدن الرحمن في حقه قوله: (ومَا يَنطِقُ عَنِ الهَوَى إنْ هُوَ إلاَّ وحْيٌ يُوحَى عَلَّمَهُ شَدِيدُ القُوَى) سورة النجم الآيات ٣، ٥.

لقد اهتمت هذه المدرسة بالإنسان اهتمامًا بالغًا أدى بالمسلم أن يكون بالنسبة لغيره من بني الإنسان عضوًا عاملاً منتجًا، عليه من الواجبات مثل ما له من الحقوق، ما لم يشرف به غيره من أتباع الديانات الأخرى.

بذلك كان المسلم في عمله هادفًا وفي رسالته مصيبًا لمرمى، بما نتج عنه سيادته للعالم؛ فقد أتى حين من الدهر ساد فيه العلم العالم وارتفعت راية الإسلام خفاقة على ربوع الأرض؛ وذلك يوم أن تمسك السلف

الصالح من المسلمين بمنهاج المدرسة الإسلامية وطبقوه عملاً عن علم وإخلاص، وعن عقيدة وتضحية وليدة الحب الإلهي الذي يدفع الإنسان بقوة لا تعدلها قوة، فتتفتح له الآفاق وتتحطم أمامه الحواجز. ذلك كله يوم أن كان المسلمون صفًا واحدًا، يوم أن كان (مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ) سورة الفتح آية ٢٩.

وإذا كان المسلمون في وقتنا الحاضر قد نزلوا من مراتبهم ورجعوا القهقري، فذلك راجع لإهمالهم منهاجهم، ولعدم تمسكهم بما أوجبه عليهم ربهم ونبيهم.

وإذا كان بعضهم ينسب العيب للإسلام، فهذا محض افتراء، فليس للإسلام من ذنب؛ فالعيب عيب المسلمين الذين تركوا جوهرهم وتمسكوا بعرض غيرهم فكان وبالا عليهم، وأصبحوا مسودين بعد أن كانوا سادة، وهذا مآل من يجرى وراء العرض الزائل ويتخذ من أعداء الله بطانة له، فلا يألونه إلا خبالاً.

وهدف المدرسة الإسلامية أن تخرج الإنسان الذي يسود نفسه، ويكسر شهوته، ويتحكم في نزواته ولذائذه، ويتمسك بكرامته وعزته، ويعرف ما أراده الله له في قوله عز وجل: (وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ) سورة المنافقون آية ٨. (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) سورة البقرة آية ١٤٣. وبذلك يستطيع في ظل تلك التربية الداعية إلى قوة الإرادة التغلب على أعدائه،

وبذلك تعود راية الإسلام للارتفاع فوق كل البقاع بفضل التربية الربانية والمنهاج الإلهي.

فأول الدروس التي يتلقاها المؤمن بالمدرسة الإسلامية أن يكون مؤمنًا بالغيب، مؤمنًا بما أنزل على محمد ﷺ، وما أنزل على الرسل من قبله، مبرهنًا على إيمانه بأعمال يؤديها فيها الخير كله لنفسه ولغيره، فإذا ما أداها كان من المتقين وكان على هدى من ربه، وبذلك يدخل في عداد المفلحين، وذلك ما ورد في سورة البقرة آية ١-٥: (ذَلِكَ الكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ).

ثم تتوالى الدروس كلها، تقويم للإنسان الذي يتعلم منها المجاهرة بالحق، وإبداء الرأي في شجاعة أدبية لا يخاف لومة لائم، ولو كان ذلك الحق فيه هزيمة لنفسه ونصرة لعدوه، متتبعًا الأمر الصادر له في سورة البقرة آية ٤٢: (وَلا تَلْبِسُوا الحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ). وكذلك يتلو بما ورد في سورة النساء آية ١٣٥ من أمر الله عز وجل: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ ولَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الوَالِدَيْنِ والأَقْرَبِينَ). ثم يأتمر في سورة المائدة آية ٨: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ولا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى واتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ).

والإنسان الذي أخرجته معصيته من الجنة لعدم وفائه بما التزم به وهو عدم أكله من الشجرة المحرمة عليه، لا يصح أن يترك في أغلال الخطيئة، بل يجب أن يخرج منها بالتوبة والوفاء للعهد؛ وذلك بدروس يتلقاها في مدرسة القرآن حتى لا يتعرض للتجربة مرة أخرى. وبذلك يطلق على المتحررين من ريقة الحنث بالوعود والعهود لقب الموفين بعهدهم إذا عاهدوا، وذلك بفضل ما تلقوه من أمر (وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ العَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً) سورة الإسراء آية ٣٤

ومهما كلف الإنسان الوفاء بالعهد فإنه يلتزم به، لأنه يؤمن أن نتيجة ذلك هو الفوز العظيم، كما قرأ في منهاج ربه (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ ويُقْتَلُونَ وعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ والإِنجِيلِ والْقُرْآنِ ومَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وذَلِكَ هُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ) سورة التوبة آية ١١١. والوفاء بالعهد صفة ملازمة لصفة الصبر؛ وذلك لما ورد في قوله الله تعالى: (والْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا والصَّابِرِينَ فِي البَأْسَاءِ والضَّرَّاءِ وحِينَ البَأْسِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وأُوْلَئِكَ هُمُ المُتَّقُونَ) سورة البقرة آية ١٧٧.

ولما كانت العقود عهودًا، والتعاقد بين الناس عهدًا، ولما كان الإيمان بالله ميثاقًا بين العبد وربه يفرض على العبد تأدية العبادات والعمل بالأوامر والابتعاد عن النواهي، فقد أرادت عناية الله ألا تهمل العقود أو المواثيق، سواء كانت بين العبد وغيره من بني الإنسان، أو كانت بينه وبين الرحمن.

فقد أشار إليها عز وجل في قوله: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ) – (الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ ولا يَنقُضُونَ المِيثَاقَ والَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ ويَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ويَخَافُونَ سُوءَ الحِسَابِ والَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وجْهِ رَبِّهِمْ وأَقَامُوا الصَّلاةَ وأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًا وعَلانِيَةً ويَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ) سورة الرعد من ٢٠–٢٢.

ولا يستطيع الإنسان الوفاء بالعهد ولا يمكن أن يطلق عليه لقب المؤمن إلا بالامتحان، والتجربة، والابتلاء. وجواز النجاح في الامتحان هو الصبر على البلاء، والرضا بالقضاء، والشكر على النعماء؛ ولذا قال تبارك وتعالى في أول سورة العنكبوت: (أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وهُمْ لا يُفْتَنُونَ). وفي سورة البقرة ضرب الله على الوتر الحساس من الإنسان وجعل الامتحان فيما يحافظ عليه المرء ويتكالب في جمعه والمحافظة عليه بكل ما أوتي من قوة وجهد، فقد قال الله تبارك وتعالى: (ولَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الخَوْفِ والْجُوعِ ونَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ والأَنفُسِ والثَّمَرَاتِ وبَشِّرِ الصَّابِرِينَ) البقرة آية ١٥٥.

كما يدرس الإنسان في رسالة مُحَمَّد عليه الصلاة والسلام، وفي الكتاب الذي أنزله الله على ذلك النبي الوسائل التي تساعده على الصمود أمام تلك التجارب والنجاة من الفتنة؛ فيقرأ في الدستور الجامع منهاج رب العالمين القرآن الكريم (واسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ والصَّلاةِ). ثم يريد الله بهذا الإنسان خيرًا فيقص قصص مَن مسهم بالبأساء والضراء من قبل فصبروا وصابروا وبذلك نصرهم الله: (مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ

الْبَأْسَاءُ والضَّرَّاءُ وزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ والَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ) البقرة ٢١٤.

وأن وَصف الله سبحانه لهؤلاء الذين ذكرهم الآية السابقة لخير وصف لقوم ورد عنهم في قوله تبارك وتعالى: (الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وقِنَا عَذَابَ النَّارِ) ذلك الوصف الذي وصف الله به أولئك الذين رضى الله عنهم، فذكر لهم الصفات الآتية في قوله تبارك وتعالى: (الصَّابِرِينَ والصَّادِقِينَ والْقَانِتِينَ والْمُنفِقِينَ والْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ) سورة آل عمران آية ١٧. الذين جمعوا بين أيديهم نعيم الدنيا وعز الآخرة، حتى وصفهم الله وخبر عنهم في كتابه الكريم: (ومِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وقِنَا عَذَابَ النَّارِ أُوْلَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا واللَّهُ سَرِيعُ الحِسَابِ).

والعلم الذي يتلقاه الإنسان في مدرسة الإسلام الكبرى ليس مجرد علم يتعلمه ليحفظه في صدره، كما أن الأوامر والنواهي ليست مجرد قوانين ولا يسأل عنها الإنسان، بل أمر الإنسان أن يطبق علمه في حياته العملية؛ وذلك بأمر من الله الذي جعل الرقابة من جانبه سبحانه والرقابة من جانب الرسول والمؤمنين، فقد أمر عز وجل: (وقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ ورَسُولُهُ والْمُؤْمِنُونَ)، فإن عمل بما علم وأطاع الله ورسوله، دخل في مصاف الذين أنزل الله في حقهم الآيات (ومَن يُطِعِ اللَّهَ والرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ والصِّدِّيقِينَ والشُّهَدَاءِ والصَّالِحِينَ وحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقًا).

وكل إنسان لا يجهل مقر هؤلاء الذين ذكرتهم الآية الكريمة، فقد قرأ كل مسلم: (وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) سورة البقرة آية ٢٥- (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الفِرْدَوْسِ نُزُلاً خَالِدِينَ فِيهَا لا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً)- (جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ ولُؤْلُؤًا ولِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ وقَالُوا الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ المُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ ولا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ) سورة فاطر آية ٣٣-٣٥، (والَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) - (قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ ورِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ واللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ) سورة آل عمران آية ١٥.

وإذا أصاب الإنسان فتور أو تواني عن العمل، فأمامه النداء من الله عز وجل الذي يفتح يده بالليل ليقبل مسيء النهار، ويفتح يده في النهار ليقبل مسيء الليل، والنداء يقول: (وسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ والأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ). وهؤلاء المتقون عرفهم ربهم بقوله: (الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ والضَّرَّاءِ والْكَاظِمِينَ الغَيْظَ والْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ واللَّهُ يُحِبُّ المُحْسِنِينَ).

وقد أعقب النداء سبحانه وتعالى للذين فعلوا الفواحش يطمئنهم: (والَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ ومَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ ولَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وهُمْ يَعْلَمُونَ أُوْلَئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ونِعْمَ أَجْرُ العَامِلِينَ) سورة آل عمران الآية ١٣٦.

وإذا كانت الآيات السابقة طلبت من الإنسان أن يسارع إلى المغفرة، فقطار المغفرة هو الاستغفار، وأن رحمة الله بعباده جعلت من الاستغفار متاعًا في الدنيا والآخرة. ودليلنا على ذلك ما ورد في قول الله عز وجل على لسان نوح عليه السلام لقومه: (فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ويُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وبَنِينَ ويَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ ويَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا) سورة نوح الآيات ١٠-١٢.

وفي العمل للخير قد حث رسول الله ﷺ الإنسان بأحاديثه، فقد روى عن أبي أمامة رضي الله عنه، قال رسول الله ﷺ: (يا ابن آدم أنك إن تبذل الفضل خير لك، وإن تمسكه شر لك) رواه مسلم والترمذي. وعن بلال رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (ما رزقت فلا تخبأ، وما سئلت فلا تمنع. فقلت يا رسول الله وكيف لي بذلك؟ قال: هو ذاك أو النار). وخلاصة تعاليم الإسلام أدب، وأخلاق، وتعاون، وتعارف، لا فرق بين ذكر وأنثى، ففي الناحية الدينية والروحية يتساويان: (ومَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ ولا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا) سورة النساء آية ١٢٤.

(مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) سورة النحل آية ٩٧.

(فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى بَعْضُكُم مِّنْ بَعْضٍ) سورة آل عمران آية ١٩٥.

ومن الأدب القرآني ينهل الإنسان نهلاً عذبًا يحدد له احترام الحرمات وأدب العلاقة بينه وبين غيره من البشر حتى يكون إنسانًا كاملاً يستحق ما توج به من لطيفة ربانية، وأن التعاليم والأوامر التي وردت في سورة النور لكفيلة بأن تخلق فردًا صالحًا يكون نواة صالحة لأسرة تكون أساسًا لمجتمع صالح. فقد ورد في قول الله عز وجل: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ واللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ واللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ ومَا تَكْتُمُونَ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ويَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ وقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ ويَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ولا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا ولْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ ولا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ ولا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ

وتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) سورة النور الآيات ٢٧-٣١.

إذن ما سردنا من أمثلة على سبيل المثال في التهذيب الروحي للإنسان يثبت بلا مجال للشك أن الإنسان خلق لرسالة وحمل أمانة، وعليه أن يجاهد حتى يطبق علمه في حياته، ويترجم علمه عملاً. وقد أحاط الله الإنسان علمًا بأنه إن لم يطبق ما تعلمه في حياته ولم يعمل بما أمر، فقد أنزل له مع الترغيب وعيدًا، ومع البشرى نذيراً، ومع الوعد تهديداً جزاء ما فرط ولم ينتفع بما تعلم فدخل في زمرة الذين يقولون مالا يفعلون، وقيل له من لدن العزيز الحكيم (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا) ثم يسمع خطاب الله له (فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ) وإن شاء فليتل (واتَّقُوا يَوْمًا لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا ولا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ ولا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ ولا هُمْ يُنصَرُونَ) البقرة آية ٤٨.

(يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ ولا بَنُونَ إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ).

كل هذا ذكر من الله عز وجل ضمنه كتابًا لا ريب فيه هدى للمتقين، والإنسان حر فيما يختاره لنفسه، فهو يسمع قول الله عز وجل: (مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ القِيَامَةِ وِزْرًا خَالِدِينَ فِيهِ وسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ حِمْلاً يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ ونَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا يَتَخَافَتُونَ

بَيْنَهُمْ إن لَّبِثْتُمْ إلاَّ عَشْرًا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إن لَّبِثْتُمْ إلاَّ يَوْمًا)، سورة طه الآيات ٩٩-١٠٤.

إذن فالإنسان رهين بما كسبت يداه سيحاسب في يوم يؤمن أنه لابد آت: (يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لا عِوَجَ لَهُ وخَشَعَتِ الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلا تَسْمَعُ إلاَّ هَمْسًا يَوْمَئِذٍ لاَّ تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ ورَضِيَ لَهُ قَوْلاً يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ومَا خَلْفَهُمْ ولا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا وعَنَتِ الوُجُوهُ لِلْحَيِّ القَيُّومِ وقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ومَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وهُوَ مُؤْمِنٌ فَلا يَخَافُ ظُلْمًا ولا هَضْمًا). سورة طه الآيات ١٠٨-١١٢.

ولقد كان الإنذار من الله عز وجل لآدم عندما أخرجه من الجنة تحصينًا وتعليمًا، كما أن فيه البلاغ المبين.

(قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ ولا يَشْقَى ومَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا ونَحْشُرُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ أَعْمَى قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وقَدْ كُنتُ بَصِيرًا قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وكَذَلِكَ اليَوْمَ تُنسَى وكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ ولَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ ولَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَدُّ وأَبْقَى) سورة طه الآيات من ١٢٣-١٢٨.

والإسلام بمدرسته هذه اشترط في المسلم شروطًا صادقة وإيمانًا يترجمه العمل، ومرآة إيمان المرء عدة صفات تظهر المؤمن على حقيقتهح فالتواضع مع العزة والكرم مع الإقساط والعدل، والطهر مع العفة ونقاء

الطوية مع الفطنة، والتوبة الصادقة مع الحرص مع الزلل، والخوف من الله مع عدم التهاون في الأخذ من حدود الله مأخذ الهزو، والعفو عن الإساءة الشخصية مع العمل بقول رسول الله ﷺ: (لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها). كل هذه صفات تظهر المؤمن بمظهره الذي يجب أن يكون عليه، وبذلك يكون المؤمن قد انطبق عليه قول الله تبارك وتعالى في سورة الفرقان:

(وعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وإِذَا خَاطَبَهُمُ الجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا (٦٣) والَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وقِيَامًا والَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًا ومُقَامًا والَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا ولَمْ يَقْتُرُوا وكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا والَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ولا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ولا يَزْنُونَ ومَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا يُضَاعَفْ لَهُ العَذَابُ يَوْمَ القِيَامَةِ ويَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا إِلاَّ مَن تَابَ وآمَنَ وعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ومَن تَابَ وعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا والَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا والَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وعُمْيَانًا والَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ واجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا أُوْلَئِكَ يُجْزَوْنَ الغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا ويُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وسَلامًا خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا ومُقَامًا). سورة الفرقان الآيات ٦٣-٧٦.

وبهذه الأمثلة وبتلك التعاليم التي عنى الإسلام أن يلقنها للفرد يخرج المسلم وقد حمل معه شهادة من الله ورسوله تشهد أنه فرد صالح، والفرد نواة المجتمع الأولى، حيث أن من الفرد تتكون الأسرة، والأسرة هي اللبنة الأولى في المجتمع.

وأن تهيئة الفرد هي تهيئته للمجتمع كله؛ ولذلك عرضنا في بحثنا هذه العجالة التي عنونّاها بمدرسة الإسلام، لنبين عناية الإسلام بتهذيب الفرد، وسنتبع هذا البحث بفصول تبحث مدى تهيئة الإسلام لأسباب الحياة للإنسان، ثم ندخل في موقف الإنسان من المجتمع وموقف المجتمع من الإنسان؛ أي نوضح موقف الإسلام من الإنسان والإنسانية.